على ضفتى قناة السويس

9

قوات شارون فى موقف صعب

بتتبع المؤلف فى فصله السادس خط سير القوات الإسرائيلية التى نفذت من الثغرة واستقرت على الضفة الغربية ، وحتى قرار وقف إطلاق النيران فى التالى والعشرين من أكتوبر . ولم يكن اعتراف المؤلف بأن أكبر ما أنجزته القوات الإسرائيلية جاء بعد قرار وقف إطلاق النيران ، إلا ليؤيد بما حققته قواته هو . هذا فى الوقت الذى لم يقدم فيه دليلا على قيام القوات المصرية بخرق هذا القرار . ويقدم المؤلف لأحداث هذه الثغرة بالحديث عن الإغارة التى قامت بها قوات شارون على بعض قواعد الصواريخ . والتى أدت إلى هرولة القوات المصرية إلى موقع الثغرة لتفتح صفحة أخرى من صفحات البطولة .

تأليف : ابراهيم ادات

عرض وتعليق : حسام الدين رشاد

ليس هناك شك فى أن قوات شارون قد انزلقت إلى موقف صعب . لقد قاتلت بجرأة وجسارة . لكنها سحقت أخيرا . ولعل حظها كان رد فعل المصريين فى البداية بطيئا . لكنها لم تحسن للأسف استغلال ذلك . إن هذه الغارة أتت فى غير أوانها . فقد كانت بمثابة إشعار للقوات المصرية بخطرها بوجود قواتنا هذا الأمر الذى أدى إلى هرولة القوات المصرية إلى قطاع الممر ، هذا فى الوقت الذى كنا لم نتم جسور العبور بعد أو قبل أن نعرف متى ستقيمها ؟ إن مثل هذه الغارة كان يمكن أن تكون أكثر إيجابية لو أن قواتنا انطلقت من قاعدة رأس الجسر وقبل أن ينجح العدو فى استدعاء قواته وحشدها بالمنطقة . ومن ثم فإن مساوىء هذه الغارة قد طغت على مزاياها . هناك خطأ آخر وقع فيه ناجم عن خروجه عن خطة القيادة

فعلى خلاف ما نصت عليه الخطة ، فقد احتفظ قوات شارون الموجودة على رأس الجسر على ضفة ترعة المياه العذبة الشرقية ، وذلك بدلا من أن تستعد على طريق حاليت . وهذا المكان قد منح إذنا واضحا لشارون . لكنه نسى أنه أعطى الفرصة للمصريين ليحصنوا هم الآخرون داخل الخاجر الزراعى إلى المنطقة الزراعية بالضفة الغربية وراء القناة مباشرة . ولما كانت هذه المنطقة معقدة ومن الصعب اجتيازها ، فقد تمكن المصريون من وقف تقدمنا من قاعدة رأس الجسر . كما كان ثمة حظر يهدد مركباتنا التى كانت محملة بالذخيرة والوقود على طريق عكاريش . ولو كان المصريون قد نسبوا ما هاجموها لتفرغاتهم من الشمال لكانوا أحدثوا بنا كارثة حقيقية . إنى عندما أتذكر معركة العبور ، وأتذكر الهجمات الكثيرة التى ظهرت بين ما حظرنا له بين ما حدث أقول إننا بدأنا هذه المعركة بلا أى إعداد كاف . وكان التخطيط مقرونا بالأخطاء . وبالتالى جاء الأداء خاطئا وليس هناك شك فى أن هذه المعركة كانت شرسة جدا . لقد حارب المصريون باستبسال وإصرار وتضحية . وحاربنا نحن فيها حربا بطولية . والآن وقد نهاية معركة العبور التى دامت أربعة أيام ، فإنه قد حشدت فى القطاع الغربى قوات أخرى ، وصدرت الأوامر لنا بالاتجاه غربا ، واختراق مقاتليا فى ممرات الدبابات وإضافتها للعمل فى تطويق الجيش المصرى الثالث على مرحلة أخرى جديدة من مراحل الحرب

مهمة شاقة :

كان مقررا أن تقوم بعملية الاختراق لعمق أراضى العدو مجموعة عمليات ، ومهمتها التوجه صوب السويس . أما المجموعة الثالثة فهى بالقرب من «مكساراه» كاحياطى وسرعان ما تغيرت هذه الخطة بإيعاز من شارون حيث طلب من القيادة تدعيم قواته وبذلك تأمين وتوسيع رأس الجسر شمالا . وقد تسبب هذا التغير فى حدوث بعض الارتباك والتأخير ، زد على ذلك ضعف الدفعية المصرية لرأس الجسر الذى أدى إلى تعطل خروجنا . وكان المصريون قد قاموا بسحب ما تبقى من بطاريات الصواريخ للخلف عقب إغارة جانم عليها ، وفى السادسة والثلث بدأ جانى يتقدم بكتيبتين ثم تلته باقى بقية الكتائب . لقد كانت مهمتنا شاقة . حقا فقد كان علينا الاختراق من منطقة بها قواعد صواريخ كثيرة وكتائب مدفعية . إلى جانب وجود ثلاثة آلوية دبابات تقع إلى الغرب من قوات . وهى الألوية التى هرولت إلى المنطقة فى الليلة السابقة

ورأيت أن يكون الاختراق من محورين حيث يتقدم لواء شكا جنوب «عرال» إلى تلال حيفة . أما لواء حانى فيحاصر منطقة صباح المطلة على تقاطع طريق حاليت دون أن تحتل . ثم يتسلل جنوبا من حافة الخاجر الزراعى متقدما إلى محور «حاليت» تاركا قوة تغلق الطريق إلى مطار فايد ثم غربا إلى منطقة عايدة . فتلال حيفة فى النهاية . ويمر الواحين ويواصلان بتحرك لواء أرييه للمساعدة . واستطعنا فى هذا اليوم (١٩) التوغل إلى عمق ٣٥ كم من الاتجاه الجنوبى الغربى . ولم تكن هذه بالمهمة اليسيرة فقد كان لنا مقاتلون فى جميع الأولوية كما لاقت جميع كتائبنا إصابات بالغة كان أكثرها إصابة بكتيبة جيورا وظل المصريون يقصفون منطقة الممر فقصفا عنيفا طوال اليوم . الأمر الذى صعب على قوافل الإمداد المرور . وخشى حقا ، فإن احتلالنا لمنطقة «صباح» مكننا من التحرك على طريق «سكراتون» .

أما شارون الذى كانت تأييد على الضفة الغربية حوالى ٢٠٠ دبابة ، والذى وافقت له القيادة على البقاء بمنطقة رأس الجسر تأمينا وتوسيعها ، فإنه لم ينجح إلا فى توسيع رأس الجسر لمسافة ٢ - ٣ كم شمالا . فقد أحبط المصريون تقدم قوته بقوارقهم .

أما كاتان . فقد كان التعاون وثيقا بين وبين قواته . فقولا احتلاله لمنطقة «صباح» ، لا وصلنا أن امدادات ، وبالتبعية خطط عمليات اليوم التالى (٢٠) فقد أصدرت القيادة أوامرها باستمرار التقدم جنوبا إلى السويس

كما أعطت جولدا مائير أمرها بالتعجيل أن يتم وقف إطلاق النيران بعد الثلاثة أيام .

أما على الجانب الآخر ، فقد تمكن المصريون من تقوية وتدعيم أجهزة الدفاع للحيلولة دون الاختراق للقاهرة وتدعيم تمكينا من محاصرة الجيشين . وبالتالى انتشرت بلاك فرق مدرعة ومشاة على شكل قوس حول قواتنا بالضفة الغربية . وأصدرت القوات المصرية تعليمات بالهجوم ، وواصلت المدفعية قصفها المكثف على رأس الجسر وانتشرت كتائب الكوماندوز . كما قامت الدبابات المصرية بهجمات

جولدا مائير أعلنت أن وقف النار سيتم بعد ثلاثة أيام

قتلى شارون فى الاسماعيلية

كانا منطقة الخاجر الزراعى وبالتالى . ونتيجة لاشتداد مقاومة العدو خاصة أبراج الظهر فإن تقدم قواتنا فى يوم العشرين من أكتوبر كان بطيئا إلا أننا تمكنا من إصابة صواريخ العدو وقضينا ليلة الحادى والعشرين من أكتوبر فى إعلاء عدد كبير من الضباب . أما شارون ، فقد بلغ إجمالى ما طهره قواته فى هذا اليوم حوالى ٣ كم شمالا فى القطاع الغربى . أما محاولاته للتقدم إلى الطاع « بيسورى » بالقطاع الشرقى فقد أحبطها المصريون . وكان قد عارض ذلك فى البداية وأظهر ميلا للقيادة لكن هجوم على الإسماعيلية وحصار الجيش الثالث . إلا أن القيادة رفضت ذلك إذ رأت أن طموحه يفوق قدراته على ذلك .

قتال ٢١ و٢٢ أكتوبر

ليس هناك شك فى أن قتال يوم ٢١ أكتوبر جاء مخيبا جدا لآمال القيادة فى القطاع الشرقى لم يحسن الموقف . على العكس فقد فشلت الهجمات التى قام بها شارون على حدوطل وبيسورى وتكبدتا خسائر بالغة . وفى القطاع الغربى لم يحقق شارون سوى تقدم بطئ ، أيضا بلغ من ٢ ، ٣ كم . أما محاولة عملياتى فقد انتهت هى الأخرى فشلا بالمنطقة الواقعة جنوب « جنيفة » وأعيد تشكيل مظلات الفيد حيث نقل إلى منطقة إيواء وبدأت تهبط فيه طائرات النقل حاملة الامدادات . إلى جانب ذلك فقد قطعنا طريق « جاليت » لإعلاء المصابين عليه . وتحركت قوافل الإمداد به . إلا أن هذه القوافل عندما تحركت ليلا ، روجهت بكثافة العدو الذى تمكن من اشعال النيران فى عربات الوقود وتعالت ألسنة اللهب لتغطى الطريق . حقا لقد كانت المنطقة مضاءة . والعدو لا يزال يحارب فيها بإصرار واستبسال . وقضينا ليلة فى تطهير المناطق المتبقية التى مررنا بها ، واثق اعتقدنا أننا أنهينا

بارليف

شارون

تطهيرها وفى أثناء ذلك اتصل فى أورى (نائب جورين) ليبلغنى برغبة القيادة فى أن أشن الهجوم من أقصر طريق شرقا عن طريق « متسلا » و « جوديدا » لكنى صممت على الهجوم عن طريق « سيريج » وذلك لقطع آخر شرايين إمداد الجيش الثالث وهو طريق السويس القاهرة . وفى الخامسة صباحا تلقيت المواقفة

وبعد عشر دقائق ، بدأ تشاطا إذ أصدرت أوامرى إلى جناى بالهجوم بحركة الكماشة من شاطئ البحيرات المرة . ومن محورى عاجون وحاليت . ومن هناك شمالا إلى مواجهة العدو أما أرواد فيهاجم من الغرب إلى الشرق وإن تمكنا بالاتجاه جنوبا إلى محور « سيريج » ثم شرقا إلى معسكرات « عجرود » وكان عدد دبابات الألوية كلها بالضفة الغربية ١٧٥ دبابة . وكان هذا الهجوم أشبه بهجوم شامل . وابتداء من الساعة السابعة بدأنا نتلقى المساعدة الجوية والمدفعية التى تأخرت كثيرا . فقد ظلت طائراتنا مشتبكة مع قواعد الصواريخ المصرية حتى الثامنة والنصف صباحا . ولكن الأسف . فسرعان ماتبين أن تقدمنا يجرى ببطئ . فقد كان لايزال امامنا حوالى ٢٠ كم من قناة السويس . فقد أحسست أن الوقت قد أزف حيث أذاع الراديو أن المصريين واصلوا على وقف إطلاق النيران وسوف يسرى هذا القرار بعد ثلاث ساعات . كان علينا أن نسرع . وفى الخامسة كنا قد قطعنا نصف الشوط فقد وصلنا إلى « تسيدرون » وبقيت دقائق على وصولنا إلى « مبا » و « كيلو » وفى السابعة تقريبا اتصل فى بارليف ليسألنى عن الوضع وليخبرنى بأن وقف النيران سوف يسرى بعد دقيقتين .

أما عن موقف العدو وقتالة فى هذا اليوم (٢٢ أكتوبر) فقد ظل طوال هذا اليوم يشن هجمات مضادة على مواقعنا ومحاور تقدمنا مستخدما مقاتلاته ومدفعيته ودباباته وصواريخه حيث كانت فى مواجهتنا تقف قوات تابعة للفرقة المدرعة ٤ والفرقة الميكنة ٩ كما كانت تتأثر بطرق قطاع البحيرات المرة الساخنة بمعسكرات كان يعمل بها جنود كوريون وفلسطينيون .

وكانت المواجهة مع العدو فى كل القطاعات تقريبا والصلات بالقيادة مقطوعة ما جعلنى فى قطاع شارون فى هذا اليوم (٢٢) فعلمت أن طريا حاص معركة عنيفة مع المصريين فى « بيسورى » حتمها المصريون بحاجز مكاد (الذى يحمل طى مفجرات) أطلقوه قبل وقف إطلاق النيران رابع ضحيته ٧ جنود . أما لواء امانون فقد وصل بالقرب من ترعة الإسماعيلية . وعندما أسند شارون إليه مهمة دخول الإسماعيلية واحتلالها . نظر قائلا : ليست لدى قوات تقريبا – هذا غير عمل ! وبالفعل أحبطت كل محاولات شارون للدخول الإسماعيلية

أما حايم فقد وصل إلى محور « بولا » .

فى ظل وقف النيران

بعد الانتشاء المزيف الذى خامنه كثيرة البشيف مع العدو والذى أصيب له فيه (البشيف) ٣٢ دبابة و٣ زلدا وبعض مجنزرات وخمسة قتل و١٨ جريحى . وبعد إصابة الكثير من أفرادنا أثناء عبور قيادة مجموعة العمليات فى ليلة الثالث والعشرين . كانت تسمع طلقات النيران من أماكن متفرقة فكنت أذكر القيادة بأن الجبن والأخير أن وقف إطلاق النيران غير قائم إلا أننى لم أتلق أمرا صريحا بخالف ما تلقيته سلفا بـ « وقف التقدم جنوبا » احتل المضطة المرصودة بالقرب من (تسيشوت) مرة ثانية . ظهر ما لديك من أراض .

كان من الصعب أن أصدق هذا . لقد أردت حصار الجيش الثالث وليحدث ما يحدث . وكان من الطبيعى ألا يحترم وقف إطلاق النيران إن الكثيرين كانوا يشاركوننى هذه الأحاسيس فقد اتصل كالمان بجورين معارضا وقف النيران . فرد عليه جورين « نحن فى الجيش نلقى الأوامر . إن قرار هذه المعركة أخذه مصر . وقرار وقف إطلاق النيران اتخذه الحكومة الإسرائيلية . أما نحن العسكريين فقد قلنا كلمتنا » .

كانت ليلة عصيبة علىّ . فى منتصف الليل بعثت من فراشى واتصلت بجورين قلت له : إن وقف إطلاق النيران لا يحترم وعلنا أن الأمر كذلك فإنى سأواصل القتال غدا . ولا أعتقد أن وقف

إطلاق النيران مستمر.

وفى العاشرة والثلث صباحا (٢٣) طلبنا تعبئة مشجعة إذ أبلغ جونين الذى دوفيق بتوجيه قوات ماجين جنوبا لإتمام حصار الجيش الثالث . أما مهمتنا فاستمرار التطهير . وأن تكون احتياطيا لماجين . وفى الحادية عشرة أدرك جونين أن ماجين يواجه صعوبات كثيرة وأن موقفه صعب فقد أراد جونين أن تتم العملية فى الواحدة بينما لن يستطيع كيهان التحرك قبل الثالثة . وعدل جونين عن رأيه فأسند إلىّ المهمة فى الثانية عشرة والثلث فأجابه أنا أولا . ثم ينعى ماجين من جناحى الغرب وحدد لبدء العملية الساعة الثانية . وطرت فرحا . فالآن ستكتمل حصار الجيش الثالث . الذى يبلغ قوامه حوالى ٣٠ ألف رجل ولديه حوالى ٣٠٠ دبابة و ٣٠٠ مدفع ولم يكن ذلك هينا

كان شغل الشاغل هو تجميع القوات المهاجمة . وعلى الفور قررت أن أسلك جناح قائد اللواء هو ورياه من الخانجر الزراعى ومن المعسكرات واستعدوا على محور حافيت بعرض ٨ كم . وأوشك رياه على التحرك شرقا وجناح من الغرب . وفى الثالثة تحركا . فأعلمت أولا القوات تتقن طريقها جنوبا . كان علينا أن نثب حوالى ٢٠ كم فى منطقة مليئة بالتلال المنخفضة تشغلها الأردية والقوات المواجهة بعرضها وطولها . كانت المنطقة إلى جانب ذلك غاصة بالمصريين المتحدقين وفى كل عمق مصر ، وحشود من المركبات بعضها معطلة جانبا وبعضها يتحرك وعلى التلال أعداد كبيرة من أجهزة الرادار والصواريخ .

وفجأة تحطر أرياه الفرقة ٩٩ الموجودة بالعامات الزراعية بصواريخ ساجر فى جناحه اليسارى فتصيب دباباته واتخفض معدل تقدمه وأخيرا وصل إلى مطار المنطوفة فقط (على بعد ١٠ كم شمال السويس) واستمر جناى فى تقدمه ووصل إلى مفترق طريق « سعاف - مرفيق » واستعجلت تمكنا بالإسراع فى التقدم جنوبا داخل الحاجز الزراعى . وتقدم جناى ووصل إلى خليج السويس . واستولى ماجين على ميناء « الأدبية » البحرى

لقد انقضت ستة أيام منذ عبورنا القناة . فى حين أن واضعى خطة « الشجعان » قد رصدوا لهذه المهمة ستا وثلاثين ساعة فقط . أى حوالى يوم ونصف . ولو أن النيران توقفت بالفعل فى مساء الثانى والعشرين من أكتوبر كما كنا أتممنا إنجاز هذه المهمة . فهل حاربنا بكسل ؟ لقد كان

والعدو لا يزال يحارب باصرار واستماتة

إحساسنا بأن قادة الجيش المذبوح فى أعماقنا أنه عندما يتحول مصير الحرب إلى غير صالح المصريين وتصاعدنا ، فان تحاوف قرض وقف إطلاق النيران علينا تكون كبيرة بيد أن هذا الإحساس قد بيت فى هذه الحرب وانتهى . ويرجع ذلك إلى وقف الحرب المرة تلو الأخرى لاقتراحات وقف إطلاق النيران المتكررة وكذلك إلى طابع هذه الحرب المشروس حيث تميزت هذه الحرب بطولة . وهكذا ساد الإحساس بأن « قواعد اللعبة » قد تغيرت هذه المرة . أى أن القوى الكبرى لن تفرض وقف إطلاق النيران إلا فى الوقت المناسب . ولما شاع الإحساس بأنه لا يزال هناك وقت مرحصا على أن يكون قتالا جائرا وبطيئا . وكانت الأسباب للقائد وجيهة : تكتس أعداد هائلة من الدبابات وآلاف الوحدات . وتقدم وجود قوات احتياطية لم تشترك فى الحرب . ولا غرابة إذن فى أن تحمل أوامر القيادة عبارات مثل : « الهجوم بقدر لا الجدوى آخر . إحتلال هدف ما لم يكن ذلك مقدورا ، خسائر أخرى جسيمة »

وتنطوى الأوامر فى تحليه مستعرضا العبارات قواعد هذه الحرب خاصة بعد وقف إطلاق النار مشيرا بنفس الموضوعية التى تسلل بها كتابه إلى عمق الفلسفة المصرية التى لاقاها فى كل مكان تقدم فيه بالضفة الغربية . ثم يتحدث بعد ذلك عن أسلوب عمل مجموعات العمليات ويبدى ملاحظاته على العمليات « الخاطفة » التى نفذتها أوامر القيادة الإسرائيلية وكيف إنها فشلت لعدم الإعداد الكافى لها وتصغر حجم القوات أمام ما فرض عليها من مهام . ثم يعرض للخلافات التى نجمت بينه وبين قيادته . وفى النهاية يعرض لموقف شارون أيضا فى هذه الجبهة فيكشف لنا عن رفض شارون للامتثال لأوامر قادته والإصرارة على رأيه بالهجوم على الإسماعيلية

واخلاقا زعم أنه لم تكن لديه القوة الكافية اللازمة لذلك . وكيف أنه فشل فى جميع معاركه المشروعات ولذلك لماكن هجومه على « الخدمة » وفى أماكن مغلقة . ثم يخرج شارون بعد الحرب على الشعب ليبدى ضجره من قيادة مريدا عبارته الشهيرة « لو لم يعجزوا من ... » عند هذا الحد ، نتركه هنا لنواصل حديثه عن شارون . ماله وما عليه وعن مناقبه ومثالبه . وحسناته وحسناته . لنتنقل فى العدد القادم إن شاء الله إلى الفصل الأخير من كتابه . والذى يتحدث فيه عن معركة السويس .

البقية فى العدد القادم

CITIBANK

يقدم

أعلى سعر فائدة

١٦٪

لدفاتر التوفير الذهبية